مظاهر التعايش السلمي وتجلياته في شعر زهير بن أبي سلمى

أ.م.د.منى صالح حسن

أ.م.د. كوثر هاتف كريم

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

الملخص:

يعد التعايش السلمي من المفردات المهمة في داخل المجتمعات وركيزه اساسية لوجوده بل هي المفردة الاسمى لتواجد بني الانسان ضمن دائرة الانسانية الواحدة القادرة على البناء الانساني المتضامن. فان مظاهر هذا التعايش السلمي بما يحمل من معان هي بحد ذاتها اصرة قوية تعمل على توحيد المجتمعات... ، لأن الانسان بطبيعته التكوينية يكون متعايشا مع الاخرين بحياة تسودها السلام والوئام فيما بينهم ، وكان الشاعر زهير بن ابي سلميى من أهم الدعاة الى السلام والوئام بين افراد المجتمع لما يحقق هذا السلام الحياة الحرة والكريمة لافراد المجتمع عامة.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي ، زهير بن ابي سلمى ، مظاهر التعايش السلمي .

Abstract:

Peaceful coexistence is one of the important vocabulary within societies and its foundation is essential for its existence. Rather, it is the supreme term for the existence of human beings within the circle of one humanity capable of building solidarity. The manifestations of this peaceful coexistence, with their meanings, are in themselves a strong bond that works to unite societies.

Keywords: Peaceful Coexistence, Zuhair bin Abi Salma, Manifestations of Peaceful Coexistence

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه المنتجبين الطيبيين . وبعد

فإن الخوض في بيان مظاهر التعايش السلمي وتجلياته في شعر زهير بن ابي سلمى من اهم ميدان التراث العربي الاصيل خاصة ما يتعلق بالقيم الانسانية الحميدة ، فقد حاول الشاعر الكشف عنها من خلال شعره ، أو بالأحرى يُعدُّ تضمين الشعر ما يفرزه الواقع الإنساني من سمات ومميزات تكشف عن مدى صلة هذه المظاهر بالإنسان.وعليه جاء هذا البحث ، متلمسا أهم تجليات التعايش السلمي التي مُني بها شعر زهير بن ابي سلمى إذ صورت لنا واقع الشاعر ومحيطه ، وأعطت تصوراً عن مدى فاعلية المحيط في بلورة الشاعر والشعر معا ،وعلى غرار ما ذكر ، بُنِيَ البحث على مقدمة ومحورين ، الأولى منها تحدثت عن مفهوم التعايش السلمي لغة واصطلاحاً ، وعن وحياة الشاعر وأدبه ، وأما المحور الثاني فقد درست فيه مظاهر التعايش السلمي في شعره منها الايثار ، والشجاعة ، ورد الضيم ، والوفاء بالعهد وغيرها ، وبعد ذلك ذيل البحث بخاتمة ذُكر فيها مجموعة من النتائج تليها قائمة بالمصادر والمراجع .

مشكلة البحث:

مما لا شك فيه أن التراث العربي الأصيل ولا سيما الأدب العربي من أغنى آداب الأمم جميعا ، وما زال حافلا بأسباب القوّة والبلاغة ، وعاملا كبيرا في إصلاح المجتمع العربي ، . وإنّ درس الأدب لم يحقّق الأهداف المنشودة بسبب الصعوبات التي ترافق هذا الادب وخاصة ادب ما قبل الإسلام بسب صعوبة بعض الألفاظ والتراكيب وغرابتها مما تؤدي الى عدم فهم المادة وإدراكها . وعند الرجوع الى مطولات الجاهليين واطالة النظر فيها يجد ألفاظها صعبة ، وتستغلق معانيها عليه ، وكلما حاول فهمها لابد له أن يلجأ إلى الشروح والمعجمات .

أهمية البحث:

تنبع الاهمية العلمية للدراسة في دراسة مظاهر التعايش السلمي في اشعار زهير بن ابي سلمى وما يحمله هذا الشاعر من روح سامية متطلعة الى السلام وتوحيد افراد المجتمع الواحدن ، فضلا عن تفعيل النص الأدبي وما تضفيه عليه من حركيةً وحيويةً عليه، واهميتها في الإقناع والتأثير، فضلا عن جمالياتها في النص ، وهذا التفاعل في النص يسبغ على النص الشعري نشاطا حسيا ومعنويا تجعل المتلقي متلقفا لها لما تحمله هذه الثنائيات من تناسقاً لغوياً وموسيقياً على السواء .

اهداف البحث

يهدف هذا البحث على تحليل واستعراض الاشعار الدالة على التعايش السلمي في شعر زهير بن ابي سلمى واظهار ما فيها من جمالية فنية ولغوية فضلا عن دلالتها التعبيرية إذ رسمت هذه الاشعار مظاهر التعايش السلمي وما تحمله من متناقضات في مجالات الحياة المختلفة.

اسئلة البحث

بعد الاطلاع على شعر زهير بن ابي سلمى وعلى واهم مظاهر التعايس السلمي فيه يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- كيف تجسدت تلك المظاهر السلمية في شعره ؟

2- هل كشفت تلك المظاهر وتجليات التعايش السلمي بمظاهرها المختلفة عن وعي الشاعر وتطلعاته نحو الوجود والكون وصراع الحياة؟

الدراسات السابقة

1- التعايش السلمي وانعكاسه على اللحمة الوطنية دراسة في شروطه ومقوضاته ، للباحث: عبد الجبار زين العابدين الحسني وهو بحث مشارك فيه في المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر لكلية الآداب بجامعة اهل البيت في كربلاء المقدسة سنة 2019 ، ويصنف هذ البحث ضمن العلوم الاجتماعية ولم يتناول الشعر بشيء.
2- أهل البيت في الشعر المسيحي اللبناني من (1900م – 2000م) دراسة ادبية ، وهي اطروحة دكتوراه في اللغة العربية وادابها للطالب زيد عبد الحسين يوسف العكايشي مقدمة الى كلية الاداب بجامعة الكوفة ، وقد تناول في احد فصول اطروحته مفهوم التعايش السلمي وانواعه ومظاهره .

المحور الأول/ مفهوم التعايش السلمي لغة واصطلاحا

مما لاشك فيه إن معرفة الإنسان نَفْسَه، أو معرفة البشرية ذاتها، تساؤل قديم حديث كان هاجس الناس عبر العصور، ولذلك بقي الإنسان وسيبقى مركز البحث الفلسفي العلمي الذي حاول أن يسهم في إيجاد الجواب المناسب، ولعل أبرز ما يميز الإنسان هو وجود الفِكَر المجردة والخلقية والروحية فيه، وهو إن فخر فإنما يفخر بها؛ إذ إن حقيقة وجودها لا تقل أهمية عن حقيقة وجوده، وهي التي تعطي لهذا الوجود قيمته، ومن ثم إذا أردنا أن نعطي لهذه الحياة معنى؛ فيجب أن نعيد لهذه الفكر القيمةَ العلمية والعقلية [1]. وهكذا يكون مفهوم (التعايش السلمي) منحى نحو تطوير إنسانية الإنسان ، فالإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات، وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنما هو للمحامد. فالنزعة الإنسانية وتعايشها السلمي في سياقنا هاهنا تعني القيم المنتزعة من تجارب الناس بهدف إقامة علاقات إنسانية قائمة على العدل والتآلف والتعايش السلمي فيما بينهم . وهي في أحد معانيها: فلسفة تؤكد قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات باعتماد العقل [2].وهنا لابد من الاشارة الى مفهوم التعايش في اللغة والاصطلاح.

التعايش لغةً:

التعايش في اللغة يعني العيش على المحبة والألفة، وتعايش الأشخاص إذا وجدوا في نفس المكان والزمان، والتعايش أيضاً هو مجتمع تتعدد طوائفه، ويعيشون فيما بينهم بانسجام ووئام على الرغم من كل الاختلافات من حيث الأديان أو الأعراق أو اللغات، والتعايش السلمي يعني بيئة يسود فيها التفاهم بين فئات المجتمع المختلفة دون اللجوء إلى استخدام القوة، ويأتي التعايش على وزن (تفاعل) مما يدل على وجود العلاقة المتبادلة بين الأطراف المتعايشة [3].

أما التعايش في الإصطلاح:

فهو ((اجتماع مجموعة من الناس في مكان واحد، حيث تربطهم وسائل العيش من الطعام، والشراب، وأساسيات الحياة، بغض النظر عن الدين أو الانتماءات الأخرى، حيث يعرف كل منهم حقوقه وواجباته دون اندماج أو انصهار تام، وأهم شيء في التعايش السلمي هي تحقيق الإنسانية والتسامي وتغليب الروحي والنفسي على البيولوجي، والسعي إلى إعلاء الفكر الإنساني)) [4]. والمساواة غاية رئيسة في التعايش الإنساني. ولعل من أهم أسس هذا التعايش ما يلي :

ـــ **العدل:** يقوم هذا المفهوم على العقلانية، والقانون الطبيعي، والدين، والإنصاف،فضلا عن إدارة القانون مع مراعاة الحقوق المدنية التي تتمثل في تمتع جميع الأفراد والمواطنين بحرياتهم بشكل متساوي أمام القانون، دون التمييز على أساس العرق أو الجنس أو اللون أو الدين [5].

ـــ **الإحسان:** ويمثله القول اللطيف، والعمل على أكمل وجه، وتجنب الإساءة للآخرين، والصبر، وترك المحرمات، وأداء الواجبات، والاجتهاد في جميع أنواع الخير مثل؛ الصدقة، والإعانة، وعيادة المريض، والشفاعة، وردع الظلم، إذ يُعد الإحسان واحدة من الركائز التي تعمل على تعزيز مبدأ التعايش بين افراد المجتمع[6].

ـــــ **العطف والتسامح:** هي إظهار العطف والتسامح تجاه الآخرين بدلاً من استعمال القوة والإساءة للاخرين ، إذ دعت الديانات السماوية جميعها إلى التحلي بهذه الصفة الحميدة التي تجلب الطمأنينة في العيش والسلام بين الناس [7].

ـــ **التعاون:** لاشك ان المجتمعات بطبيعتها إلى تحتاج الى التعاون بين أفرادها، إذ تتوحد هذه الجهود لتصبح شيئاً مادياً محسوساً يعود على الجميع بالمنافع التي لا يستطيع الفرد في الكثير من الأحيان الحصول عليها دون مساعدة وتكاتف وتكامل بين افراد المجتمع الواحد [8].

ـــ **التحلّي بمكارم الأخلاق:** التحلّي بمكارم الأخلاق هي إحدى أسس التعايش التي تدخل في مناحي الحياة جميعها ، إذ تعمل على زرع المحبة والثقة بين أفرادها، وتقوية الروابط، ولين الكلام، وبشاشة الوجه، والصدق، والوفاء بالعهود، مما يعمل على تعزيز مفهوم التعايش السلمي [9].

ـــ **(التواضع) :** ان تحقيق هذا المبدأ وتطبيقه بشكل صحيح يعمل على تحقيق التعايش مع الآخرين بسلام، وذلك من خلال النظر بشكل متوازن إلى المواقف والآراء ووجهات النظر جميعا دون اللجوء إلى التطرف او التعصب وهذا ما يطلق عليه بمبدأ الاعتدال[10]. ، وهذه الأسس وغيرها سوف نقف عندها في شعر زهير بن أبي سلمى في المحور الثاني .

المحور الثاني/ مظاهر التعايش السلمي وتجلياته في شعر زهير بن أبي سلمى

يعد زهيراً أحد أكبر الشعراء العرب ، عاش و اشتهر في عصر الجاهلية و ذاع صيته في جميع أنحاء البلاد و على مر العصور المختلفة ، و تم تصنيفه في مقدمة أكبر ثلاثة شعراء في العصر الجاهلي و هم امرؤ القيس و زهير بن أبي سلمى و النابغة الذبياني واحد اصحاب المعلقات ، لكنه لم يعاصر الرسول عليه الصلاة والسلام و لم يدرك الإسلام عاش في نجد و هو ينتمي لأكبر قبائل العرب و هي قبيلة مزينة ، و نشأ في بيت عريق معظم عائلته كانت شغوفه بالشعر و الأدب ، و قد أثرت العائلة بشدة في تكوين تفكيره و نظمه للشعر ، و كان زوج أمه الشاعر الشهير أوس بن حجر([11]) ،و الذي ساهم كثيرا في تعلقه بالشعر و تنمية قدراته .

و قد لقب بشاعر الشعراء و ذلك لصدق شعره ، عمل كقاضي و حكيم و كان ينصر المظلوم ويدعو الى التعايش السلمي بين قبائل العرب وما قصة معلقته التي قالها من اجل اقامة الصلح بين (هرم بن سنان والحارث بن عوف)[12]، مثالاً شاخصاً على مبادراته الانسانية.

كان زهير حكيما وداعية خير وصلاح وسلام،وهنا يبرز دور الشاعر الاجتماعي والإنساني فقد اطلق عليه لقب (شاعر السلام)[13] كما في قوله: (من الكامل)

وَلْيَكُنْ حَظُّكَ السَّلَامَةَ وَالرُّشْـ ـدَ وَخِصْباً فِي الْجَدْبِ وَالْإِمْحَالِ [14]

وقال: (من الطويل)

وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوبِعَتْ سَـــــــــلَامَةُ أَعْـــــوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ [15]

وقال : (من الخفيف)

فَعَلَيهِ السَّلَامُ وَالسِّلْمُ منّا حَيثُ كُنَّا مِنَ الْبِلَادِ وَكَانا [16]

ولذلك انشغل الشعراء وغيرهم في البحث عن القيم والأخلاق والصفات والأعمال التي تخلد ذكرالإنسان بعد موته، فكانت قيم المدح والفخر بالفروسية والنجدة والمروءة والكرم والنسب والعفة والصدق والوفاء وهذه الامور لا تتحقق الا اذا قام السلام والمودة بين الناس فهذه الامور من اهم مجالات التعايش السلمي بين ابناء المجتمع فقد كانت مجالا خصبا لتعابير الشعراء إذ وقف زهيرا موقفا معاديا من الحرب وما تخلفه من تمزق لابناء المجتمع من ذلك قوله : (من الطويل)

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

مَتى تَبعَثوها تَبعَثـــــــــتوها ذَميمَةً وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ [17]

وينظر زهير بن أبي سلمى إلى الحرب نظرة مغايرة لما هو شائع في عصره، فهي تطحن الناس وتقتلهم وهم الذين يوقدون نارها أو يطفئونها لذا دعا الى مجانبة الحرب والركن الى السلام ففيه صلاح المجتمع ،فكان زهير داعية للسلام ، ومصلحــاً اجتماعياً ، ضمّن شعره نظرات تأملية في الحياة والموت والإنسان ، اذ كان موضع الاستشارة والنصيحة والتدبر ، ومعرفــة الرأي السديد اذ قال :

وَمَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَلقَها وَلَو رامَ أَسبابَ السَماءِ بِسُلَّمِ

وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَل بِفَضلِهِ عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُذمَمِ [18]

ويتضمن شعره ايضا على أمور وقضايا عديدة، تتعلق إمَّا بنفسه أو بمن يُثني عليه من العرَب عامة وخاصة، ولما كانت الأخلاق لها أرتباط وثيق بالجانب الأنساني فالخلق الرفيع مصدر لكل خير، وحاجزة عن كل شرٍّ ولعل من اهم مضامين التعايش السلمي التي جاء ذِكرُها في شعره، نَذكر طرَفا منها وكما يلي:

1- الايثار والتضحية

تعد صفة التضحية والايثار من القيم الإنسانية المتسامية التي ترقى بصاحبها في سماء النبل والعطاء والسخاء، بل انها قمة البذل والعطاء بلا حدود من ذلك قوله : (من الكامل)

وتركِي مُواساةَ الأخلَّاءِ بِالذِي تنالُ يَدي ظلمٌ لهمُ وعقُوقُ

وإنِّي لأستحيي مِن اللهِ أن أُرَى بحالِ اتِّساعٍ والصَّديق مُضيقُ [19]

وقال : (من الطويل)

إنِّي لأسْتَحِيي صَحابي أن يَرُوا مكانَ يَدي في جَانبِ الزَّادِ أقرعَا

أقصِّرُ كفَـــــــــي أنَ تنالَ أكفَّهمُ إذا نحنُ أهوينـــــــا وحاجاتنا معا[20]

فالإيثار خلق رفيع من أفضل مكارم الأخلاق يتخلق به المرء أذ يؤثر على نفسه ويعطي الآخرين ما احتاج اليه فيصل بذلك أعلى مراتب الإيثار فيّرسخ في نفسه قوة اليقين, وتوكيد المحبة , والصبر على المشقة وهذا ما اشار اليه الشاعر واكد عليه .

وكان لاغاثة الملهوف ملمح من ملامح التضحية والايثار التي أطرها زهير ابن ابي سلمى باتجاة ذلك التعايش السلمي والتكاتف من اجل اغاثة الملهوف واعانته على تخطي المصاعب كما في قوله : (من الطويل)

إذا فَزِعوا طاروا إلى مُستَغيثِهِم طِوالَ الرِماحِ لا ضِعافٌ وَلا عُزلُ

بِخَيلٍ عَلَيها جِنَّةٌ عَبقَرِيَّةٌ جَديرونَ يَوماً أَن يَنالوا فَيَستَعلوا

عَلَيها أُسودٌ ضارِياتٌ لَبوسُهُم سَوابِغُ بيضٌ لا تُخَرِّقُها النَبلُ [21]

فالشجاعة والتضحية عنصر بارز في احتواء المستغيث لأن قيم الايثار والتضحية لم تكن بمنأى عن ممدوح الشاعر ذلك فهي بلا شك قيم اتصف بها العرب جميعاً وحملوا لوائها من شجاعة وعزة نفس وإجارة المستجير ورفع الظلم فضلاً عن الكرم والحلم وسماحة الخلق [22]

2- **النخوة والغيرة :**

لقد كانت عند العرب أخلاقٌ كريمة، بعث نبي الرحمة- عليه الصلاة والسلام ليتممها، ويقوّم ما انحرف منها، ويسمو بها وبأمثالها. قد حمد الإسلام الغيرة، وشجع المسلمين عليها، ذلك أنَّها إذا تمكنت في النفوس كان المجتمع كالطود الشامخ، حميةً ودفاعاً عن الأعراض، والمؤمنُ الحق غيورٌ بلا شطط، يغار على محارم الله أن تنتهك، وفي الحديث أن سعد بن عبادة- قال كلاماً بين يدي رسول الله - صلى الله عليه واله سلم - دلَّ على غيرته الشديدة، فقال - صلى الله عليه واله وسلم -: ((أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني)) [23] رواه البخاري.

ومن أجل أن يكون المجتمع المسلم نظيفاً، أمرَ الإسلام فيما بعد بعددٍ من الأوامر والنواهي، ليحفظ هذا المجتمع طاهراً نقياً، وتصبح مظاهر الغيرة فيه جلية، ومن علامات هذا النقاء. ومن مظاهر هذا التعايش الذي عرف به العرب نخوتهم وغيرتهم إذ كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال، والرغاء، ثم النساء إذا صدرت كل الفرق المتقدمة، حيثُ يغسلنَّ أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمناتٍ, ممن يزعجهن، فمن تأخر عن الماءِ حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل.

و كان للغيرة عند القوم مظاهرَ كثيرة منها: حبهم لعفةِ النساء عامة، ونسائهم خاصة، ومنها حبهم لحيائهنَّ وتسترهنَّ ووفائهنَّ ووقارهنَّ. وقد أشاد الشاعر بعفة النساء وتمنعهنَّ ووفائهنَّ [24]، بقوله: (من الطويل)

مُنَعَّمَـــــــــــــــةٌ لا يُستَطاعُ كَلامُها عَلى بابِها مِن أَن تُزارَ رَقيبُ

إذا غابَ عَنها البَعلُ لَم تُفشِ سِرَّهُ وَتُرضي إِيابَ البَعلِ حينَ يَؤوبُ [25]

وكان من مظاهرِ الغيرةِ عند العرب ايضا ، سترُ النساءِ ومنعهنَّ من الظهور أمام الرجال كما في قوله : (من الطويل)

نُقاتِلُ أَقواماً فَنَسبي نِساءَهُم وَلَم يَرَ ذو عِزٍّ لِنِسوَتِنا حِجلا [26]

على أنَّهم كانوا يفخرون بغضِّ البصر عن الجارات، ويعد ذلك من العفة والغيرة على الأعراض، كان كشفُ الستر بجارح النظرات، وهتك الأعراض بخائنة الأعين، وفضحِ الأسرار باستراق السمع لا يترفع عنه إلاَّ كل عفيف، ومن جميل قوله : (من الطويل)

وَإِن جارَتي أَلوَت رِياحٌ بِبَيتِها تَغافَلتُ حَتّى يَستُرَ البَيتَ جانِبُه [27]

وقوله : (من الكامل)

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جارَتي مَأواها [28]

وممَّا تقدم فأنَّ الغيرة والنخوة خلقٌ عربي أصيل، ارتفع به الإسلام آفاقاً عاليةً سامية، وقمماً شامخة، في ظل مجتمعٍ, وارف الظلال وهذا ما جسده شاعرنا في اقواله بشكل معبر وبتعبير لطيف .

3- **الشجاعة:**

الشجاعة صفة لم يخلُ أيُّ عربي عنها، فكانوا مفتخِرين بهذه الصفة حتى إنهم كانوا يُعْلُون ذِكرَ خصومهم؛ لمجرَّد أنهم أعلى منهم؛ للإشارة إلى أنهم قد صرعوا من كان قويا لا ضعيفا،وهذه ماتعرف بالقصائد (المنصفات)[29] ،وديوان زهير أيضا يتضمن على ذِكر هذه الصفة حين يقول هاجيا آلَ حصين : (من الوافر)

وَإِن جارَتي أَلَوت رِياحٌ بِبَيتِها تَغافَلتُ حَتّى يَستُرَ البَيتَ جانِبُه [30]

وبالعكس مِن ذلك فهو يمدح هرِما الذي كان أشجعَ عربيٍّ : (من الكامل)

وَلَأَنتَ أَشجَعُ حينَ تَتَّجِهُ ال أَبطالُ مِن لَيثٍ أَبي أَجري [31]

وقال فيه: (من البسيط)

لَيثٌ بِعَثَّرَ يَصطادُ الرِجالَ إِذا ما كَذَّبَ اللَيثُ عَن أَقرانِهِ صَدَقا [32]

وهكذا يقول في مدح هرِم بن سنان وإخوته، وهذه نهاية المدح لشجاعة أحد: (من البسيط)

إنسٌ إِذا أَمِنوا جِنٌّ إِذا غَضِبوا مُرَزَّؤونَ بَهاليلُ إِذا جُهِدوا [33]

من أروع صور الشجاعة تصويره لابرز الصفات ولا سيما لتلك النفس النبيلة المعطاءة التي عرفت بالشجاعة والاقدام فيقول : (من الطويل)

وَإِنّا أُناسُ لاَ نُعَوِّذُ خَيلَنا إِذَا مَا التَقَينا أَن تَحِيـــــــــــــدَ وتَنفِـــــــرا

وَنُنكِرُ يَومَ الرَّوعِ أَلوانَ خَيلِنا مِنَ الطَعنِ حَتَّى تَحسِبَ الجَونَ أَشقَرا

وَلَيسَ بِمَعرُوفٍ لَنا أَن نَرُدَّها صِحـــــــــــــــــاحاً وَلاَ مُستَنكَراً أَن تُعَقَّرا

بَلَغنا السَماءَ مَجدَنا وَجُدُودَنا وَإِنّا لَنَرجُـــــــــو فَوقَ ذَلِكَ مَظهَرا [34]

فالشجاعة التي اتصف بها المقاتلون في الحرب هي من قمة الكمالات الإنسانية التي صورها زهير في شعره ، ، فلا يسكت على ضيم أو خديعة أو ذل أو استعباد ولا يخشى موت ، ونلاحظ أن الشاعر استدعى الخيل عند تناوله لصفة الشجاعة بوصفها رمزا من الشجاعة والإقدام واقتحام الصعاب ، فوظف تغير لونها الأسود إلى الأشقر من الدماء كناية عن كثرة القتلى، وانها لا ترد صحيحة ، فمن الغريب أن ترد صحيحة ، فمن خلال دلالة الكر والفر واقتحام المصاعب في وصف الخيل رسم أسمى صورة لشجاعة الفرسان وصفة الإباء وإنكار الضيَّم ، وتقديس كرامة النفس وعزتها[35].

4- **الوفاء:**

يعد الوفاء عادة متأصلة في العرب؛ فهم لم يكونوا يَخذُلون أو يخونون لو عَقدوا الوعد مع أحد، فيقول :(من الكامل)

وإمَّا أن يقولوا: قد وَفَينا بذِمَّتنا فعادتُنا الوَفاءُ [36]

ويقول وهو يمدح الحارث : (من الكامل)

أو صالَحُوا فله أمْن ومُنتَقَذ وعقدُ أهلِ وفاء غيرِ مخذولِ [37]

ويقول ناصحا عن الوفاء في قصيدته المعلَّقة: (من الطويل)

ومن يُوفِ لا يُذمَم ومن يُهدَ قلبُه إلى مُطمَئنِّ البرِّ لا يتجَمجمِ [38]

وقال : (من البسيط)

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ [39]

في هذا البيت طرح رائع لقيم إنسانية قد تضيع أو تندثر تحت صخور الأنانية والنفاق ، فالوفاء وموافقة القول العمل والصدق صفات وأخلاق وسجايا تنم عن إنسانية أصيلة في أصحابها فإذا ما نضب الوفاء ، وفاض الغدر وانتشر الكذب تلاشت أسمى معاني الإنسانية واندثرت وتفكك المجتمع الذي يسوده ذالك التعايش السلمي وقد وظفه زهير احسن توظيف هنا .

5- الكرم:

السخاء صفة حسنة قد اشتهَر بها العرب، فكانوا يُنفِقون كلَّ ما امتَلكوه من الأموال حتى أصبحوا هم أنفسُهم فقراء، وخير مثال هو حاتم بطَل في هذا المجال؛ فهو جَواد يُضرَب به المثل فيقال: ((أجود من حاتم)) وشاعرنا المزنيُّ قد أتى بتعابيرَ جميلة بليغة في هذا الشأن، كأنه قد ختم على التعبير عن الكرم والسخاء![40] فهو يقول مادحا هرم بن سنان في سخائه وطيب كرمه :(من الطويل)

أَلَيسَ بِفَيّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ ثِمالِ اليَتامى في السِنينَ مُحَمَّدِ [41]

ولعلَّ ما يلي تعبير الطف مما قيل في الجود لاحد كما في قوله : (من الطويل)

فلو لم يكنْ في كَفِّه غيرُ نفسِه لجاد بها، فليتَّقِ الله سائلُهْ [42]

وينبغي لنا أن ننفق الأموال على المحتاجين ولا نطلب أيَّ شكر منهم، يوحي إلى هذه العادة الحسنة في ضوء مدحه لهرم بن سنان الذي لم يكن يَرجو الشكر من قِبَل المحتاجين الذين كان يُنفق عليهم سوى أنه كان يَستاء حينما يسأله أحد وهو لا يجد ما يُنفقه عليه: (من البسيط)

هُوَ الجَوادُ الَّذي يُعطيكَ نائِلَهُ عَفواً وَيُظلَمُ أَحياناً فَيَظَّلِمُ [43]

ان الكرم صفة جميلة للبشر، لا نجد لها كلمة واحدة بغير العربية جامعة لها، ولعلها تَطوي بين جنبيها صفات حسنة عديدة، حثَّ الشاعر زهير الإنسانَ على أن يتحلَّى بهذه الصفة الجميلة، فيقول وهو يمدح سنان بن أبي حارثة المري:(من البسيط)

أَو كانَ يَقعُدُ فَوقَ الشَمسِ مِن كَرَمٍ قَومٌ بِأَوَّلِهِم أَو مَجدِهِم قَعَدوا

لَو يوزَنونَ عِياراً أَو مُكايَلَةً مالوا بِرَضوى وَلَم يَعدِلْهُم أُحُدُ [44]

وقال: (من البسيط)

لَو نالَ حَيٌّ مِنَ الدُنيا بِمَنزِلَةٍ أُفقَ السَماءِ لَنالَت كَفُّهُ الأُفُقا [45]

و في كل هذا ليس يريد منه سوى أن يحثَّ به المرء على الاتِّصاف بهذه الصفة. تكريم الذات: ومِن أحسن المعاملات البشرية أنه ينبغي للمرء أن يكرِّم ذاته؛ فيقول الشاعر مشيرا إلى هذه الحكمة البليغة: (من الطويل)

وَمَن يَغتَرِب يَحسِب عَدُوّاً صَديقَهُ وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكَرَّمِ [46]

فالكرم والعطاء من اهم مظاهر التعايش السلمي التي تجلت في اشعار زهير بن ابي سلمى .

6- الر د على الضَّيم:

كما أن الشاعر يأمرنا بأن لا نكون مُقاتلين ولا متقاتلين فكذلك يُشير علينا أن نردَّ - على الظلم والضَّيم؛ فإن الصَّغَار عيب في حياة البشر، فيقول مادحا حِصنَ بن حذيفةَ بن بدر : (من الطويل)

وَمَن مِثلُ حِصنٍ في الحُروبِ وَمِثلُهُ لِإنكارِ ضَيمٍ أَو لِأَمرٍ يُحاوِلُه

أَبى الضَيمَ وَالنُعمانُ يَحرِقُ نابُهُ عَلَيهِ فَأَفضى وَالسُيوفُ مَعاقِلُه

عَزيزٌ إِذا حَلَّ الحَليفانِ حَولَهُ بِذي لَجَبٍ لَجّاتُهُ وَصَواهِلُه [47]

ويقول في مدح هرم بن سنان : (من الطويل)

جَريءٍ مَتى يُظلَم يُعاقِب بِظُلمِهِ سَريعاً وَإِلّا يُبدَ بِالظُلمِ يَظلِمِ

ومن لم يذُدْ عن حوضِه بسِلاحِه يهَدَّمْ ومَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ [48]

7- المجد والعزة:

المجد كلمة جامعة لمعظم المَحامد والمحاسِن، فكان العرب يفتَخِرون بهذا الجانب، وكانوا يوصون أولادَهم بهذا، يقول وهو يمدح هَرِمَ بن سنان: (من الطويل)

إِذا اِبتَدَرَت قَيسُ بنُ عَيلانَ غايَةً مِنَ المَجدِ مَن يَسبِق إِلَيها يُسَوَّدِ

سَبَقتَ إِلَيهـــــــــــــا كُلَّ طَلقٍ مُبَرِّزٍ سَبوقٍ إِلى الغاياتِ غَيرَ مُجَلَّدِ [49]

ويشير إلى أسباب المجد ومنها الجود والكرم: (من الطويل)

فَضَّلَهُ فَوقَ أَقوامٍ وَمَجَّدَهُ ما لَم يَنالوا وَإِن جادوا وَإِن كَرُموا [50]

ويقول مشيرا إلى المجد : (من الطويل)

لولا ابنُ زرقاءَ والمجدُ التليدُ له كانوا قليلا فما عزُّوا ولا كثروا [51]

وكذا يشير إلى أنَّ المجد نوع من العُلَى:

عظيمَينِ في عُليا مَعَدٍّ وَغَيرِها وَمَن يَستَبِح كَنزاً مِنَ المَجدِ يَعظُمِ [52]

وقد كثر في كلام العرب ذكرُ هذه الصفة، كما أشيرَ إلى أسبابها الأخرى.وقد عدَّت معلقة زهير بن أبي سلمى تجسيداً للقسم الإنسانية في الأدب الجاهلي, حين مجد في معلقته هرم بن سنان والحارث بن عوف بوصفهما داعية للسلم والسلام وحاضنان للصلح والوئام , فنجده يتغنى بموقفهما الإنساني الرائع قائلاً : (من الطويل)

يَميناً لَنِعمَ السَيِّدانِ وُجِدتُما عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرَمِ

تَدارَكتُما عَبساً وَذُبيانَ بَعدَما تَفانوا وَدَقّـــــــوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِمِ

وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعاً بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَمِ [53]

فالشاعر يمجد هذين الشخصين لا لمكانتهما الاجتماعي ولا طمعا في مال ولا لمصلحة خاصة , بل مدحهما لما يمتلكانه من صفات انسانية نبيلة حركت لواعج قلب الشاعر وانطقت لسانه بالمدح والتمجيد .

8- **الصلح والعيش بسلام وامن :**

مر العرب بحروب وشِّجارات وساد القوي على الضعيف ، الأمر الذي قد كاد أن يُفني قبائل العرب كلَّها، فشعر زهير بهذا الخطر الذي يهديد الانسانية ، فرفع راية السِّلم والصُّلح، وبشِعره المؤثِّر اشار الى اهميته في حياة العرب يقول شاعرنا مادحا هرِمَ بن سنان والحارثَ بن عوف: (من الطويل)

وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعاً بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَمِ

فَأَصبَحتُما مِنها عَلى خَيرِ مَوطِنٍ بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ وَمَأثَمِ [54]

وقال وهو يدعو بني سليم إلى السِّلم:

خُذوا حَظَّكُم مِن وُدِّنا إِنَّ قُربَنا إِذا ضَرَّسَتنا الحَربُ نارٌ تَسَعَّرُ

وَإِنّا وَإِيّاكُم إِلى ما نَسومُكُم لَمِثلانِ أَو أَنتُم إِلى الصُلحِ أَفقَرُ (55)

وهكذا يشير إلى أهمية المصانَعة، فيقول:

وَمَن لا يُصانِع في أُمورٍ كَثيرَةٍ يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِمِ (56)

وبالصلح يتحقق الأمن والعيش بسلام وسكينة فالامن شيء يحتاج إليه كل منا، ، وشاعرنا قد حثَّ – واوصى الناس على أن يكونوا آمِنين، ولا يخوضوا في الحروب الدامية؛ فإنها لا تعود على البشَر إلا بالإبادة على الأرض، وفضلا عن هذا فقد شدَّد الشاعر على هذا الشيء فهو شاعر السلام والتعايش السلمي بحق فيقول :

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُمـــــــوها فَتَضـــــــــــرَمِ

فَتَعرُكُمُ عَرِكَ الرَحى بِثِفالِها وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِـــــل فَتُتئِمِ

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِـــــــــــع فَتَفطِمِ (57)

ومما تقدم نجد أنَّ الشاعر قد أمرنا بحسنات عديدة ونهانا عن سيِّئات مختلفة وما هذا الا غبض من فيض ، فنجده يجمع كل هذه الحسنات بكلمة واحدة هي (الباقيات)، فيقول مشيرا إليها، ويدعونا ان نعمل من اجل تحقيقها ، ونوصي بها مَنْ يأتي خَلفَنا: (من الطويل)

فَلَو كانَ حَمدٌ يُخلِدُ الناسَ لَم تَمُت وَلَكِنَّ حَمدَ الناسِ لَيسَ بِمُخلِدِ

وَلَكِنَّ مِنـــــــــــهُ باقِيـــــــــــاتٍ وِراثَةً فَأَورِث بَنيكَ بَعضَـــــــها وَتَزَوَّدِ

تَزَوَّد إِلى يَومِ المَمـــــاتِ فَإِنَّهُ وَلَو كَرِهَتهُ النَفسُ آخِرُ مَوعِدِ (58)

فكأنه يشير علينا أن نختار هذه المحامد في جوانب حياتنا كافة كي نعيس بسلام آمنين ، كما نوصي بها أولادنا؛ فإنها خير الزاد لنا في الدنيا وفي الاخرة بوصفها مظهر من مظاهر التعايس السلمي التي تشد من لُحمة ابناء المجتمع الواحد .

الخاتمة:

الحمد لله على اتمام هذا البحث المتواضع ، الذي خصنا فيه بدراسة مظاهر التعايش السلمي وتجلياته في شعر زهير بن ابي السلمى إذ توصلنا فيه الى النتائج الاتية :

- إن مبدأ التعايش السلمي ضرورة بشرية ففيه يعم الأمن والسلام بين الشعوب ، فضلا عن ذلك فانه الرابط الذي يجمع بين افراد المجتمع ويتحقق من خلال التآلف والتآزر التي هي اصلا مبادئ الاستقرار النفسي والاجتماعي ، الذي لا يتحقق الا بتطبيق مبدأ التعايش السلمي بين العباد .
- كان زهير مخلصاً في دعوته إلى السلام، فاشعره يؤكد صدقه في دعوته وايمانه بآ ا رئه، وتشير إلى ب ا رعته وابداعه في طريقته، مما يندر أن يتوافر لأي شاعر جاهلي يعيش في عصر قوامه الغا ا رت وشن الحروب، والاستهانة بالأرواح والدماء.
- اعتمد زهير في دعوته إلى السلام على الأساليب والطرق المختلفة التي من شأنها أن تدعم رأيه ويقوي من دعوته، مستعيناً بموهبته ومقدرته الفنية التصويرية فكان الوفاء وصوار الشجاعة والايثار والحث على مجانبة الحرب واشاعة السلام بين افراد المجتمع من اهم اسس التعايش السلمي التي تمثلت في اشعاره .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين هو نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

(1) ينظر عبد العظيم ابراهيم المطعني :مبادئ التعايش السلمي في الاسلام منهجاً وسيرة : 26.

(2) ينظر ناصر حسين الاسدي : ثقافة التعايش حياة سعيدة : 100.

(3) ينظر ابن منظور : لسان العرب : مادة عيش : 6/ 211.

(4) ينظر خليل احمد خليل : معجم المصطلحات الدينية :52.

(5) ينظر عيسى محمد العيد : في ظلال التعايش 17-18.

(6) د. كمال عبد الله حسن : التعايش السلمي في العراق ، بحث منشور في مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، مجلد (3) الاصدار (10)، جامعة كركوك ، العراق ،2014.

(7) د.منهل يحيى اسماعيل : الحوار واثره في التعايش السلمي : بحث منشور في مجلة كلية العلوم الاسلامية ، عدد (6) ، جامعة بغداد ،2009 ، 165.

(8)المصد نفسه : 168.

(9) د. عيسى محمد العيد : في ظلال التعايش : 183.

(10) د. رعد عساف التميمي :مبدأ التعايش (اسس واهداف في ضوء الكتاب والسنة) ، 254.

(11)د. شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي :231/1.

(12) المصدر نفسه :1/ 238.

(13) د. يوسف نوفل : زهير بن ابي سلمى ، شاعر السلام ، 77.

(14) الديوان : 124.

(15) المصدر نفسه : 154.

(16) المصدر نفسه : 111.

(17) المصدر نفسه : 123.

(18) المصدر نفسه : 106.

(19) المصدر نفسه : 156.

(20) المصدر نفسه : 122.

(21) المصدر نفسه : 112.

(22) المصدر نفسه : 104.

(23) صحيح البخاري : 145.

(24) د.يحيى الجبوري: الادب الجاهلي خصائصه وفنونه 134.

(25) الديوان : 143.

(26) المصدر نفسه : 89.

(27) المصدر نفسه : 110.

(28) المصدر نفسه : 133.

(29) المصدر نفسه : 192.

(30) المصدر نفسه : 188.

(31) المصدر نفسه : 141.

(32) المصدر نفسه : 119.

(33) المصدر نفسه : 144.

(34) المصدر نفسه : 191.

(35) د. سعد اسماعيل الشلبي : الاصول الفنية للشعر الجاهلي 164.

(36) الديوان :87.

(37) المصدر نفسه : 116.

(38) المصدر نفسه : 154.

(39) المصدر نفسه : 138.

(40) د. شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي 198.

(41) الديوان : 94.

(42) المصدر نفسه : 151.

(43) المصدر نفسه : 186.

(44) المصدر نفسه : 192.

(45) المصدر نفسه : 64.

(46) المصدر نفسه : 134.

(47) المصدر نفسه : 121.

(48) المصدر نفسه : 85.

(49) المصدر نفسه : 118.

(50) المصدر نفسه : 196.

(51) المصدر نفسه : 160.

(52) المصدر نفسه : 56.

(53) المصدر نفسه : 183.

(54) المصدر نفسه : 177.

(55) المصدر نفسه : 105.

(56) المصدر نفسه : 154.

(57) المصدر نفسه : 86.

(58) المصدر نفسه : 93.

المصادر والمراجع

- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت لبنات ، 2000م.
- خليل احمد خليل : معجم المصطلحات الدينية ، الدار الوطنية للطباعة والنشر ، الاردن ،1998مز
- رعد عساف التميمي :مبدأ التعايش (اسس واهداف في ضوء الكتاب والسنة) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417ه – 1996م.
- زهير ابن ابي سلمى : الديوان صنفه الأعلم الشنتمري ، تحقيق فخر الدين قباوة ،منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ن لبنان ، ط 3 ، 1400ه – 1980م.
- سعد اسماعيل شلبي : الاصول الفنية للشعر الجاهلي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، القاهرة ، 1998م .
- شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي ، دار المعارف بمصر ، 1997م.
- عبد العظيم ابراهيم المطعني :مبادئ التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، مصر ،د.ط ، 1979م.
- عيسى محمد العيد : في ظلال التعايش ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، د.ط.

- كمال عبد الله حسن : التعايش السلمي في العراق ، بحث منشور في مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، مجلد (3) الاصدار (10)، جامعة كركوك ، العراق ،2014.
- منهل يحيى اسماعيل : الحوار واثره في التعايش السلمي : بحث منشور في مجلة كلية العلوم الاسلامية ، عدد (6) ، جامعة بغداد ،2009
- ناصر حسين الاسدي : ثقافة التعايش حياة سعيدة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م.
- يحيى الجبوري : الادب الجاهلي خصائصه وفنونه ، دار الرشيد للطباعة والنشر ، بغداد ، 1987مز
- يوسف نوفل : زهير بن ابي سلمى ، شاعر السلام ،دار الكتاب العربي ، سوريا ، 2005م